في كل ليلة حكاية

١

أول من آمن من الرجال

الدكتور
محمد عمر الحاجي

رسوم : إياد عيساوي

الطبعة الأولى

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع أو إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من أشكال الطباعة أو النسخ أو التصوير أو الترجمة أو التسجيل المرئي والمسموع أو الاختزان بالحاسبات الالكترونية وغيرها من الحقوق إلا بإذن مكتوب من دار المكتبي بدمشق .

دار المكتبي
للطباعة والنشر والتوزيع
www.almaktabi.com

سورية ـ دمشق ـ حلبوني ـ جادة ابن سينا
ص.ب ٣١٤٢٦ ـ هاتف : ٢٢٤٨٤٣٣ ـ فاكس : ٢٢٤٨٤٣٦
e-mail: almaktabi@mail.sy

دَخَلتْ (أمُّ سَعِيدٍ) إلى غُرفةِ ابنَتِها (سُعاد) لِتُرتِّبَ الأَغراضَ ، وتُنظِّفَ الحَاجاتِ ، فَلفتَ انتباهَهَا وَرَقَةٌ مَوجودةٌ على طَاولةِ الدِّراسةِ..

فَأخَذَتْها وقرأَتْ:.... لَقدْ غابتْ خَالتي (أُمّ أحمد) وَأولادها وَزَوجهَا منذُ سنَواتٍ طَويلةٍ.. لَقدْ ذَهَبوا إلى السُّعوديةِ للعَملِ.. وَكَبرنَا... وَكبرُوا... ولمْ نعدْ نَراهُم إلاَّ في الصُّورِ الفُوتُوغرافيَّةِ!!

ولمْ نعدْ نَسمَع أَخبارَهُم إلاَّ عن طَريقِ الرَّسائلِ البَريديَّةِ والمُكَالماتِ الهَاتفيَّةِ.. ما أَصعَبَ الفِرَاقَ.. وما أَوحَشَ البُعدَ.. وَلكنْ مَا أَجملَ اللِّقاءَ.. وَما أشدَّ الشَّوقَ...!!

آه... يَا رَبّ أَسألُكَ أن تقرِّبَ البَعيدَ.. وتَجْمعَ شَملَ الأَحبَّةِ.. إنَّكَ سميعُ الدُّعَاء... آمِين.. آمِين.

التَّوقِيع: المُشتَاقةُ إليكُم سُعاد...

وبَدونِ شُعورٍ أَحسَّتْ (أُمّ سَعيد) أَنَّ شَيئاً حَاراً يَسيلُ على خَدَّيهَا.. فَرفعتْ يَدَهَا.. وَمسحتْهُ.. فإذا هُو دموعٌ تَسيلُ من عَينيهَا..!!

وَخرجتْ (أُمّ سَعيد) إلى صَالونِ البَيتِ وَجلستْ على الكُرْسِيِّ لِترتاحَ قَليلاً.. وَشردَ ذِهنُهَا.. وهيَ تُفكِّر في أُسرةِ أُخْتِها (أمّ أَحمد).. تَذكَّرتْ أيَّام طُفولتهمَا.. وأيَّام الصِّبَا.. أيَّامَ الفرحِ.. وأيَّامَ الحُزنِ.. لِقاءاتٌ.. وجَلساتٌ معَ وَالدهمَا.. وَوَالدتهمَا.. ومَع أخواتِهَا البنَاتِ.. والشَّبابِ أَيضاً..

وَفجأةً.. سَمعتْ صَوتَ الهَاتفِ يَرنُّ في غُرفَةِ الضُّيوفِ.. هُرِعَتْ بِسُرعةٍ كبيرةٍ.. رَفعتْ سمَّاعةَ الهَاتفِ وَقالتْ: ألو.. نَعم.. أنَا (أُمّ سَعيد)...

ويا لَها من فَرحةٍ كَبيرةٍ لا تُعادلُها فَرَحَةٌ.. لقدْ سَمِعتْ صَوتَ أُخْتِها (أُمّ أَحمد) وهيَ تَقولُ:

السَّلامُ عليكُم وَرَحمَةُ الله وبَرَكَاتُه... أَنا

أُمّ أَحمدَ.. كَيفَ حَالكُم؟ وكيفَ الأَولادُ يا أُختِي أُمّ سَعيد؟

سَأَلتهَا (أُمّ سَعيد): وَأَنتِ.. كيفَ حَالكِ وكَيفَ حَال زَوجكِ.. وكيفَ الأَولاَد.. لَقدْ اشتقْنَا إِليكُم كَثِيراً.. ونَحنُ ـ جَمِيعاً ـ نَدعُو اللهَ أَنْ يَجمعَنَا عن قَرِيبٍ..

قَالتْ (أُمُّ أَحمد): ولَكِن هَلْ تَدرِي يَا أُخْتِي من أَينَ أتكلَّمُ مَعك؟!

من أينَ (يا أُمَّ أَحمد) ـ قالتْ أُمُّ سَعيدٍ ـ بالطَّبعِ من السُّعوديَّةِ..

قَالتْ (أُمُّ أَحمد): لا.. ، فنحنُ الآن في عَمَّان عَاصِمةِ الأُردُنِّ.. وبعدَ سَاعاتٍ نكونُ في دِمشقَ إن شَاءَ اللهُ تَعالى..

وانتهتِ المُكَالَمةُ الهَاتِفيَّةُ التي حَمَلتِ البشَارَةَ بِقُربِ وُصُولِ الأَحبَّة...

وَنَادَتْ (أُمُّ سَعيدٍ) أَولادَهَا (سَعِيد وسَامِي وسُعاد وَسَمِيرة)... وأخبرتْهُم بالخَبرِ المُفرحِ...

وانطلقَ الجميعُ لترتيبِ أمورِ البَيتِ.. وَتَهييءِ أَمكِنَةٍ لإستقبالِ خَالتِهم وأولادِها وَزوجِهَا...

وَبالفِعلِ.. وَصَلتِ السيَّارةُ إلى قُربِ بَيتِ (أُمِّ سَعيدٍ).. ونَادتْ (سَميرةُ): يَا أُمِّي.. لَقدْ وَصَلتْ خَالتِي..

وَكَانتْ لَيلةً جَميلةً.. تعانقَ الشَّبابُ (سَعيدٌ وَسَامي) مَعَ أولادِ خَالتهم (أَحمَد وأَنوَر) وَكذلكَ البَناتُ (سعادٌ وسَميرةٌ) معَ بناتِ خَالَتِهم (ابتِهَال وأَسمَاء)..

وَراحُوا يتذكَّرونَ الأيَّامَ التي مَضتْ.. واتَّفقُّوا علـى أَنَّ الإنسـانَ إن لـمْ يكـنْ مُضْطـراً فَعليـهِ أن لا يُغادرَ بَلدهُ وأَهْلَهُ وأَحبابهُ وجِيرانَهُ.. والسَّفرُ ليسَ إلاَّ قِطعةٌ من العَذابِ!!

وَفي السَّهرةِ خَرجُوا إلى بُستانٍ قَريبٍ.. وجَلَسُوا تحتَ الأَشجارِ المُثْمرةِ قُربَ النَّهرِ الجَميلِ...

فَقَالَ (أبو أَحمَد): أَجلْ مَا أجملَ بلدنَا.. فالجَوُّ المُعتدِلُ.. والهواءُ العَليلُ.. والطَّبيعةُ الخَلابةُ و...

وبينمَا كَانتِ الفَتَياتُ يَتحادثْنَ عنِ الذِّكريَاتِ.. وكَانَ الشَّبَابُ يتسامرنَ بِبَعضِ الأَحاديثِ المُشتَركَةِ.. وَكَانتْ أُمُّ سَعيد تعدُّ نَوعاً من أَنواعِ الحلويَّات الشَّاميَّةِ.

قَالتْ (أُمُّ أَحمد): يا جَماعَة.. لا نريدُ أن نقطَعَ الوقتَ في القِيلِ والقَالِ.. وَلابدَّ أن نَستَغلَّ بعضَ الوَقتِ.. لنتحدَّثَ عن أَمرٍ نَستَفيدُ منهُ...

واجْتَمَعَ الجَميعُ إليهَا لِتَحكي لَهم حِكَايةً من حكَاياتِها الجَمِيلةِ.. واتَّفقُوا على أن يُفرِّغُوا مدَّة سَاعة.. لِتكُونَ في كلِّ ليلةٍ حِكَاية..!!!

أَوّل من آمنَ من الرِّجالِ!!

(عبدُ الله) شابٌّ نَحِيلُ الجَسدِ، أبيضُ اللَّونِ، نَشأَ في أُسرةٍ مَعروفةٍ بالعزِّ والمَجدِ، وعُرِفَ عنهُ الخلُقُ الحَمِيدُ والمَعشرُ اللَّطيفُ معَ النَّاسِ، ولمَّا كَبُر مَارسَ العملَ التِّجاريَّ، وتدرَّج في ذَلكَ حتَّى أصبحَ من أشهرِ تجَّار مكَّةَ.

كَانَ لهُ صديقٌ واحدٌ يُدعَى (محمَّد بن عبدِ الله ﷺ) يحبُّه كَثيراً، وتربطُه بهِ عَلاقةٌ حَميمةٌ، لذلكَ ما إن جَاءَ الوحيُ الإلهيُّ إلى الرَّسولِ بآياتٍ من القرآنِ، حتَّى انطلقَ الرَّسولُ إلى صديقِهِ فَأبلغهُ بذلكَ.. فمَا كانَ من أَبي بَكرٍ الصِّدِّيق إلاَّ أن أَعلنَ إسلامهُ.. لمَا يعلمُ من صِدقِ صديقِه رَسول الله ﷺ.

ولَمْ يَكتَفِ بذلكَ الإعلانِ، إنَّما انطلقَ يَدعو إلى الله تَعالى، ويشَاءُ الله أن يُسلمَ على يديهِ بَعضٌ مِمَّن أَصبحُوا مبشَّرينَ بِالجنَّةِ، وهُم: عُثمان،

وَسَعـد ، وابـنُ عَـوفٍ ، وطَلحـةُ ، والـزُّبيـرُ ، وأَبو عُبَيدَة رَضِيَ الله عنهُم.

وَلكنْ يا خَالتي ـ تَسألُ (سَميرة) ـ من هُم المُبشَّرونَ بالجنَّةِ؟

يَقولُ (أَبو أَحمد): أُريدُ أن أَنصَحكُم نَصيحةً لوجهِ الله تَعالى.. إنَّ خالتكُم (أُمَّ أَحمد) خَبيرةٌ في الأمورِ التَّاريخيَّة ـ وخاصَّةً الإسلاميَّة ـ فاستفِيدُوا من جلوسِهَا بينكُم وَسلوهَا عن كلِّ ما يَسْتَشكلُ عليكُم.. حتَّى لو رأيتمُوهَا مُتعبةً!!

تَبتَسِـمُ (أُمُّ أَحمـد) وتقـولُ: إنَّهـم أَبـو بَكـرٍ الصِّدِّيق ، وَعُمرُ بن الخَطَّاب ، وعُثمَانُ بن عفَّان ، وعلـيٌّ بـن أَبـي طَـالِـب ، وطَلحـةُ بـن عُبيـدِ الله ، والزُّبيرُ بن العَوَّام ، وَسَعيدُ بن زَيد ، وأبو عُبَيدة ابن الجرَّاح ، وسَعدُ بن مَالك ، وعبدَ الرَّحمَن بن عَوْف رَضيَ اللهُ عنهُم جَميعاً.

تَقولُ (سُعادٌ): لقدْ جَمعَ أَحدُ الشُّعراءِ أسماءَهُمْ بِقَولهِ:

أَزكَى صَلاتي على الهَادِي وعترتِهِ
وَصَحبهِ وخُصوصاً مِنهُم عَشَرة
صِـدِّيقهُـم عُمـرُ الفَـاروقِ أَحـزمهُـم
عثمـانُ ثُـمَّ علـيٌّ مُهلِـكُ الكَفَـرة
سَعـدٌ سَعيـدٌ زبيـرٌ طَلحـةٌ وأبُـو
عُبَيدة وابنُ عَوفٍ عَاشِرُ العَشَرة

تابعتْ (أُمُّ أَحمد) حكايتَها قَائلةً: أَحسنتِ يا سُعاد.. فهؤلاءِ المبشَّرون بالجنَّة غالبيَّتُهم دَخل الدِّينَ الحَنيفَ على يَدِ أَبي بَكْرٍ الصِّدّيقِ رَضي اللهُ عنهُ...

أبو بكرٍ سيِّدنَا.. وأعتقَ سيِّدنَا!!

يسألُ الطَّبيبُ (أَنور) أُمَّهُ: لقدْ سَمِعتُ من خَطيبِ المَسجدِ منذ أكثرَ من سَنتينِ جُملةً لم أَفهمْ

مَعناهَا.. لقدْ قَالَ: قالَ الفاروقُ عُمرُ عندَ وَفاةِ بِلال بن رَبَاحٍ: أَبو بكْرٍ سيِّدنا.... وأَعتقَ سيدنَا!!

فَقالتْ (أُمُّ أَحمَد): لَقدْ صَدَقَ الفَاروقُ عُمَرُ ، فَسيِّدنا هُوَ أَبُو بَكرٍ الصِّدِّيق ، وأعتقَ سَيِّدَنَا مُؤذِّنَ رَسُول الله ، وَهوَ بِلالٌ الحَبَشيُّ.

حَيثُ مَرَّ أَبو بَكرٍ ذاتَ يَومٍ في أَحدِ أَزقَّةِ مكَّةَ ، فَرأى كِبَارَ المُشركِينَ كيفَ يُعذِّبُون بِلالاً الحَبَشيَّ على الرِّمَالِ المُلْتهبةِ.. فطلبَ منهم أَن يخفِّفُوا عنهُ العَذابَ.

فَقالَ (أميَّةُ بنُ خَلَف): ادْفعْ ثَمنهُ يا أَبا بَكرٍ.. ونَترُك عنهُ التَّعذيبَ...

وَوافقَ أَبو بَكرٍ واشتَرى بِلاَلاً.. وأعتقَهُ لوجْهِ الله تَعالى ، ليكونَ المُؤذِّنَ الذي يعلنُ كَلِمةَ التَّوحيدِ...

إِنَّه الصِّدِّيقُ أَبو بكرٍ رضيَ الله عَنهُ

وَلكِنْ يا أُمِّي ـ تَسألُ أَسماءُ ـ لِمَاذا لُقِّبَ أَبو بَكْرٍ بِالصِّدِّيق؟

تُجيبُ (أُمُّ أَحمد): بَعدَ رحلَةِ الإِسرَاءِ والمِعْراجِ.. انطلقَ أَبو جهل إلى أَبي بَكْرٍ ليخْبِرهُ بمَا يَقولُ صَدِيقُهُ رسولُ الله.

فلمَّا أَخبرهُ.. كانَ جَوابُ أَبي بكرٍ: لَئن كَانَ قَالَ ذلكَ فقدْ صَدقَ!!

فَو الله إِنَّه ليخبرنِي بِخَبرِ السَّماءِ فأُصَدِّقهُ أفَلا أُصدِّقهُ بِخبَرٍ كَهَذا؟!

ولمَّا وصلَ الخبرُ إلى رَسولِ الله أطلقَ عليهِ لَقَبَ الصِّدِّيق:

«أنتَ يا أبَا بكرٍ: الصِّدِّيق».

وأَيَّد اللهُ ذلكَ بقَولِه: ﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ

بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الزمر: ٣٣ - ٣٤].

وَهَكَذَا كَانَتْ مَسِيرةُ حَياةِ أَبي بَكْرٍ معَ رَسولِ الله ﷺ: يَقفُ معهُ في السَّرَّاء والضَّرَّاءِ، يُنفقُ أَموالهُ في سَبيلِ الدَّعوةِ إلى اللهِ تَعالَى، يَشهدُ كُلَّ المَعاركِ معَ رسولِهِ، فكانَ صَدِيقاً لخيرِ صَدِيقٍ...

﴿إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾

[التوبة: ٤٠].

تَابعتْ (أُمُّ أَحمد) حكايتَها الجَميلَةَ:

ولمَّا كَانتِ الهِجرَةُ من مكَّةَ إلى المَدينَةِ المنوَّرةِ، كانَ أَبو بَكرٍ رضيَ الله عنهُ رفيقَ رحلةِ رَسولِ الله ﷺ، وَهو شَرفٌ عظيمٌ لا يبلغُهُ أَحدٌ أبدَاً..[1].

---

(١) وصدق الشاعر عندما قال: =

فَقدْ جَهَّزَ أبـو بَكْـرٍ الـرَّاحلـةَ.. وانطَلـقَ مـعَ رَسُول الله سِرَّاً إلى الغَارِ.. ودَخلَ قبلَ الرَّسولِ يُفَتِّشُ الغَارَ خَوفاً على الرَّسولِ... وبعدَ أيَّامٍ انطلقَا باتِّجاهِ المَدينةِ.. وفي الطَّريقِ كانَ أبُو بكرٍ يَسيرُ تَارةً أمامَ الرَّسول وتَارةً خلفَهُ.. وصَدقَ اللهُ عندمَا ثَبَّت ذلكَ الموقِفَ الرَّائعَ لأبي بَكرٍ معَ الرَّسولِ:

﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة: ٤٠].

= لا تفضِّل على (العتيق) صديقاً
فهـو صـدِّيـق أحمـدَ المختـار
وإن ارتبتَ في الأحاديث فاقرأ
﴿ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ ﴾

وَفِي المَدينةِ المُنوَّرة قامَ أبو بَكرٍ بتزْويجِ رَسول اللهِ من ابنَتِهِ السَّيِّدة عائشةَ رَضيَ اللهُ عنهَا لِيصْبحَ أكثَر التصَاقاً بِقائِدِ مَسيرةِ الدَّعوةِ إلى اللهِ... وَليقف جَنباً إلى جَنبٍ مَعهُ ، فَيكُون بحقٍّ خَيرَ مُستشارٍ ونَاصحٍ للنَّبيِّ الكَريمِ ﷺ.

الأوَّلُ...: دَائماً.. وَأبداً!!

وَيشاءُ اللهُ تَعالى لأَبي بَكْرٍ أن يكونَ الأَوَّلَ في أَعمالِ الخَيرِ دَائماً!!

فَهوَ أَوَّلُ من آمنَ من الرِّجالِ ، وَهوَ أوَّلُ من وَقفَ وقفَةَ البَطَلِ عندمَا انتقلَ الرَّسولُ إلى الرَّفيقِ الأَعلَى وَقالَ قَولَتهُ الشَّهيرَةَ: من كَانَ يَعبدُ مُحمَّداً ، فَإنَّ مُحمَّداً قد مَاتَ ، ومن كَانَ يَعبدُ اللهَ فَإنَّ اللهَ حَيٌّ لا يَموت.

وهوَ أوَّلُ خَلِيفَةٍ لِلمسلمينَ بعدَ رَسولِ اللهِ ،

وَهوَ أوَّلُ من جَمَعَ القُرآنَ الكَرِيمَ ، وَهوَ أَوَّلُ من حَاربَ المُرتَدِّين الذينَ مَنَعُوا الزَّكَاةَ.

وهوَ أَوَّلُ من اختارَ للمسلمينَ من يَخْلُفُهُ من بعدِ مَوتِه.. وهوَ عُمر رَضِيَ اللهُ عنهُ...

إلى الفِرْدَوسِ الأَعلَى يَا صدِّيق

وَهكذَا أَمضَى أبو بَكرٍ في خِلافةِ المُسلمينَ قُرابَة السَّنتينِ والنِّصف.. فَكانَ عَادلاً تقيَّاً وَرِعاً لا يَخافُ في اللهِ لومةَ لائِم.. فَرَضِيَ اللهُ عنهُ وَأَرضَاهُ.. ، وأسكَنهُ فَسِيحَ جنانِهِ.. فهوَ المُبَشَّرُ بِالجنَّةِ.. وَهوَ الصِّدِّيقُ.. وهوَ صَاحِبُ رَسولِ الله ﷺ.

وانشرَحَ صَدرُ الجميعِ لهذهِ الحكَايةِ الجَميلةِ.. وَقالُوا: إذَاً.. في كلِّ ليلةٍ حِكَاية...!!

والحمدُ لله ربِّ العَالمين